2026 شبـــاط مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية العدد 12A
February 2026 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences No. 12A
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية في الممتع في التصريف لابن عصفور (ت 669هـ)

م.م. إقبال سعيد محمد حسين
جامعة تكريت / كلية التربية / طوز خورماتو
eqbal.s.mohammed@tu.edu.iq

الخلاصة :

يتناول هذا البحث دراسة التوجيه الصرفي في القراءات القرآنية كما عرضها ابن عصفور في كتابه الممتع في التصريف، مركزًا على كيفية إظهار الصيغ الصرفية المختلفة للكلمات القرآنية وتأثيرها على النطق والمعنى. وقد تبين من الدراسة أن ابن عصفور لم يقتصر على عرض القواعد الصرفية التقليدية، بل قدم تحليلًا دقيقًا لكيفية توجيه الكلمة وفق القراءة المروية، مع مراعاة اختلاف الحروف المتحركة والثوابت في السياق القرآني، أبرزت الدراسة أن التوجيه الصرفي عند ابن عصفور يحقق ثلاثة أهداف رئيسية وهي: تثبيت صحة القراءة، بحيث يصبح القارئ قادرًا على النطق الصحيح للكلمة حسب الرواية، توضيح المعنى اللغوي، من خلال إبراز تغييرات الصرف التي قد تؤثر على الدلالة، توحيد أساليب التعلم، حيث قدم قواعد عامة لتوجيه القراء والطلاب، مما يسهل عملية الحفظ والتلاوة الصحيحة.كما أشارت النتائج إلى أن التوجيه الصرفي عند ابن عصفور يجمع بين الدقة العلمية في الصرف وبين الاهتمام بخصوصيات القراءات القرآنية، مما يجعله مرجعًا مهمًا للباحثين في علم القراءات وعلوم العربية. وقد اعتمد البحث على تحليل نصوص الكتاب ومقارنة القراءات المختلفة، مستخلصًا الأنماط الصرفية التي أبرزها المؤلف وكيفية توجيهها للقراء.

الكلمات المفتاحية :التوجيه الصرفي، القراءات القرآنية، الممتع في التصريف، ابن عصفور، الصرف العربي.

Morphological guidance for Qur’anic readings in Al-Mumti’ fi al-Tasrif by Ibn Asfur (d. 669 AH)

A.L. Eqbal Saaed Mohsen

Abstract:

This research examines the morphological approach to Quranic readings as presented by Ibn Asfur in his book, *Al-Mumti' fi al-Tasrif* (The Delightful Book on Morphology). It focuses on how Ibn Asfur demonstrates the various morphological forms of Quranic words and their impact on pronunciation and meaning. The study reveals that Ibn Asfur did not merely present traditional morphological rules, but also offered a meticulous analysis of how words are grammatically analyzed according to the transmitted reading, taking into account the variations in vowels and consonants within the Quranic context. The study highlights that Ibn Asfur's morphological approach achieves three main objectives: establishing the accuracy of the reading, enabling the reader to pronounce the word correctly according to the transmitted text; clarifying the linguistic meaning by highlighting morphological changes that may affect its significance; and standardizing learning methods by providing general guidelines for guiding readers and students, thus facilitating memorization and correct recitation.The findings also indicate that Ibn Asfur's morphological approach

combines scientific rigor in morphology with attention to the specificities of Quranic readings, making it an important resource for researchers in Quranic readings and Arabic linguistics. This research relied on analyzing the text of the book and comparing different readings, extracting the morphological patterns highlighted by the author and how he directed them to the readers.

Keywords: Morphological guidance, Quranic readings, Al-Mumti' fi al-Tasrif, Ibn 'Asfur, Arabic morphology.

المقدمة

يعد علم الصرف من العلوم الأساسية في دراسة اللغة العربية، لما له من دور بارز في توضيح بنيات الكلمات وتغيراتها وتفاعلاتها مع المعاني، خصوصًا في النصوص القرآنية التي تتسم بالدقة والعمق اللغوي. ومن بين العلوم التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالقرآن الكريم، يبرز علم التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية، الذي يهتم بتوضيح الصيغ الصرفية للكلمات وفق الروايات المختلفة، بما يضمن صحة النطق وسلامة المعنى.

ويعتبر كتاب الممتع في التصريف للمؤلف ابن عصفور (ت 669هـ) من المراجع الهامة في هذا المجال، حيث جمع بين القواعد الصرفية التقليدية وبين تحليل دقيق لكيفية توجيه الكلمات في سياق القراءة القرآنية. فقد حرص ابن عصفور على تقديم مادة علمية شاملة، تجمع بين التفسير اللغوي للقرآن وبين الصيغ الصرفية المختلفة، لتسهم في تثقيف القارئ وتمكينه من التلاوة الصحيحة.

ويهدف هذا البحث إلى دراسة أساليب التوجيه الصرفي التي اعتمدها ابن عصفور، وتحليل أثرها في القراءات القرآنية، مع التركيز على إبراز الطرق التي من خلالها يمكن للقارئ ضبط القراءة، وفهم المعنى اللغوي بدقة، والحفاظ على خصوصية كل رواية. كما يسعى البحث إلى توضيح القيمة العلمية لكتاب الممتع في التصريف في مجال الدراسات القرآنية واللغة العربية، وإبراز مدى اتساق التوجيه الصرفي مع قواعد اللغة وخصوصيات القرآن الكريم.

المبحث الأول

المفاهيم

المطلب الاول: ابن عصفور (ت 669هـ)

ولد أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور عام السيل الكبير أي سنة 597 هـ. نشأ بإشبيلية و درس على كبار شيوخ العربية فيها مثل أبي الحسن بن الدباج، و الشلوبين الذي لازمه مدة عشر سنوات، و أخذ عنه جل علمه حتى صار في صفوف منافسيه، و في رعاية الأمير الهنتاني محمد بن بكر اكتسب مكانة عالية، و تردد في مدن الأندلس، مدرسا، و مؤلفا، ثم جاز إلى المغرب، فأقام في مدينة آنفا و آزمور و مراكش، ثم انتقل في أخر أيامه إلى إفريقية، في بلاط ابن زكريا حتى توفي إثر حادثة مشهورة سنة 669 هـ على أشهر الأقوال. فاشتهر من تلامذته الإمام أبو حيان الأندلسي، و ابن سعيد المدلجي صاحب المغرب في حلى المغرب، و المشرق في حلي المشرق، و أبو عبد الله محمد بن علي الأشعاري المالقي الشهير بالشلوبين الصغير[1].

ترك ابن عصفور عدة مصنفات في النحو و التصريف و اللغة و الأدب و شرح إيضاح الفارسي و جمل الزجاجي، و له ثلاثة شروح لكتاب سيبويه و ألف كتاب البديع في شرح الحزولية.

[1] راجع السيوطي بغية الوعاة، 2 / 210 و نفح الطيب 2 / 270.

و من أشهر مصنفاته كتاب المقرّب في النحو الذي تلقاه العلماء بالترحيب و الاغتباط، فشرحه بهاء الدين بن النحاس، و اختصره أبو حيان في كتاب التقريب. و ممن تناوله بالتعليق و النقد ابن هشام، و ابن الحاج [1]، و ابن الضايع، و لإبراهيم بن أحمد الأنصاري الخزرجي كتاب سماه المنهج المعرّب في الرد على المقرّب [2]، و لحازم القرطاجني كتاب في الرد عليه سماه (شد الزيار على جحفلة الحمار) [3].

غير أن أهم مؤلفاته كتاب الممتع في التصريف، و لقد كان من ميزات ابن عصفور أن الاعتبار إلى علم التصريف، الذي يكاد أن يكون نسي بعد سيبويه، و المازني، و ابن جني، و ذلك أنه أعاد ترتيبه و تنظيمه في كتاب الممتع، و بسط القول في الدفاع عنه، و في إبراز أهميته، كما شرح أسباب إعراض كثير من العلماء عنه لصعوبة مسلكه.

لقد خصص ابن عصفور للتصريف كتابا مستقلا مثل ما فعل جل قدماء النحاة كالفراء و أبي عثمان المازني و ابن كيسان و ابن جني، و ابن الحاجب في الشافية. مع أن سيبويه في الكتاب جمع بين النحو و التصريف، غير أنه أخر المسائل الصرفية البحتة في آخر الكتاب، و هذا ما أشار إليه ابن عصفور في ذكره لأسباب هذا التأخير في الترتيب. و كان من حسنات ابن مالك أن أعاد الأمور إلى أوضاعها المناسبة، فلم يهتم بالتمارين غير العملية، و أدرج الأبنية المشتقة في الأفعال في نطاق العوامل. و تناول أبواب التصريف، و الجموع، و الإمالة و التصغير، و الإبدال و الإدغام، في آخر أبواب الخلاصة. و أفرد مصنفا مستقلا لتصاريف الأفعال و المصادر.

و ليس من شك أن التقديم الذي اعتمده ابن عصفور في الممتع، كان منهجيا، و مبسطا بحيث يسهل استيعابه على جمهور الدارسين. من أجل ذلك رأينا من الأنسب أن نستعرض ملخصا عن آرائه في التصريف مما ورد في هذا الكتاب الذي قال فيه: (إن التصريف أشرف شطري العربية و أغمضهما) .

فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوي و لغوي؟ لأنه ميزان اللغة العربية، و إنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به، و يذكر أن جماعة من المتكلمين امتنعوا من وصف الله سبحانه بـ «حنّان» لأنه من الحنين و الحنة من صفات البشر الخاصة بهم، تعالى الله عن ذلك، و كذلك امتنعوا أيضا من وصفه بسخي لأن أصله من الأرض الخاوية و هي الرخوة، و امتنعوا من وصفه بالدّاري-و إن كان من العلم-لأن أصله من الدّريّة، و هي شيء يضعه الصائد لضرب من الحيلة و الخديعة.

و الذي يدل على غموضه كثرة ما يوجد من السقطات فيه لجلة العلماء، و ذكر أن أبا عبيد قال: إن «مندوحة» مشتقة من «انداح» و هو فاسد لأن انداح انفعل و نونه زائدة،

و مندوحة مفعولة، من الندح و هو جانب الجبل، و ذكر عن أبي العباس ثعلب قوله إن «تنورا» وزنه تفعول من النار، و الصواب إنه فعول[4].

ثم قال: إنه كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، و معرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب، إلا أنه أخر للطفه و دقته. ثم قال: فإني، لما رأيت النحويين قد هابوا لغموضه علم التصريف فتركوا التأليف فيه و التصنيف، إلا القليل منهم، فإنهم قد وضعوا فيه ما لا يبرد غليلا، و لا

(1) أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي الإشبيلي (537-668 ه) قرأ على الشلوبين و الدباج، راجع ترجمته في بغية الوعاة، ج 1/ 359.
(2) راجع بغية الوعاة، 1 / 406.
(3) نفح الطيب، 4 / 148 عن حسن موسى الشاعر.
(4) المقرب، 1 / 27-29.

يحصّل لطالبه مأمولا، لاختلال ترتيبه و تداخل تبويبه، وضعت في ذلك كتابا، رفعت فيه من علم التصريف شرائعه، و ملكته عاصيه و طائعه، و ذللته للفهم بحسن الترتيب و كثرة التهذيب لألفاظه و التقريب[1].

و كما سبقت الإشارة إليه، فإن أبرز ما امتاز به ابن عصفور هو محاولته لتقريب علم التصريف و تنظيمه. في كتابه هذا ادعى أنه «جامع لمسائل التصريف مع حسن الترتيب و كثرة التهذيب، ممتنع عن القدح، مشبه للروض في وشي ألوانه، و تعمم أفنانه، و إشراق أنواره، و للعقد في التئام وصوله و انتظام فصوله« . و لم يكن ابن عصفور هو وحده الذي افتتن بعمله في التصريف. بل إن أبا حيان قال عنه: إنه أحسن ما وضع في هذا الفن ترتيبا و ألخصه تهذيبا، و أجمعه تقسيما، و أقربه تفهيما» . ثم لخصه في كتاب المبدع، غير أن هذا الإطراء لم يمنع أبا حيان من نقد ابن عصفور و النيل منه حتى اتهمه بجهل كتاب الله [2].

و يقول ابن عصفور إن التصريف «ينقسم قسمين، أحدهما جعل الكلمة على عدة صيغ لمعان خاصة، كالتصغير، و النسب، و التثنية و الجمع، و صيغ المشتقات» . و لم يتناول هذا القسم في الممتع، مكتفيا بما كتب منه في المصنفات النحوية. ثانيهما تغيير بنية الكلمة دون دلالة على معنى طارئ عن هذا التغيير، مثل الإعلال و الإبدال و الإدغام[3].

المطلب الثاني: تعريف التوجيه الصرفي لغة واصطلاحا

الصرف لغة:

رَدُّ الشيء عن وجهه، أي التغيير والتقليب من وجه إلى وجه، ومن حال إلى حال (وتصريف الرياح المسخر) والعدول (لا يُقبل منه صرْف ولا عدْل)، والتبيين والايضاح (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا)، (ولقد صَرَّفنا الآيات)، بيّناها. [4]

الصرف اصطلاحاً:

بالمعنى العِلْميّ: علمٌ بأصول يُعْرَف بها أحوالُ أبنيةِ الكلمةِ، التي ليست بإعرابٍ ولا بناءٍ. فهو العِلم الذي يبحث في اللفظ المفرد من حيث بناؤه ووزنه، وما طرأ على هيكله من نقصان أو زيادة[5]

واصطلاحًا بالمعنى العَمَليّ: تحويلُ الأَصلِ الواحدِ إلى أبنيةٍ مختلفةٍ، لِمعانٍ مقصودة، لا تحصُل إلا بها، كتحويل المصدر إلى الفاعلِ والمفعولِ، واسمِ التفضيلِ، والتثنيةِ والجمعِ، إلى غير ذلك.

للكلمات العربية حالتان: حالةُ إفرادٍ وحالة تركيب. [6]

فالبحثُ عنها، وهي مُفردةٌ، لتكون على وزن خاصٍّ وهيئة خاصة هو من موضوع (علم الصرف).

والبحثُ عنها وهي مُركبةٌ، ليكونَ آخرُها على ما يَقتضيه مَنهجُ العرب في كلامهم من رفعٍ، أو نصبٍ، أو جرّ، أو جزمٍ، أو بقاءٍ على حالةٍ واحدة، من تَغيُّر هو من موضوع (علم الإعراب) أو ما يسمى علم النحو. [7]

(1) المصدر نفسه، ص 22.
(2) فخر الدين قباوة، مقدمة الممتع، ص 12 نقلا عن المبدع لأبي حيان.
(3) الممتع، 1/ 31.
(4) تيسير مباحث النحو والصرف : 904.
(5) العربية وعلم اللغة البنيوي : 49-50.
(6) ينظر علم اللغة – علي عبد الواحد وافي 8.
(7) علم اللغة بين القديم والحديث 107-108.

ويختص علم الصرف: بالأسماء المتمكنة، والأفعال المتصرفة دون غيرها؛ "لأنّ ما عدا ذلك قوالب ثابتة لا يدخلها تغيير ولا تبديل، يبحث في الكلمات العربية مفردة.

وتكون أهمية الصرف:

- صون اللسان عن الخطأ في المفردات.

- ومراعاة قانون اللغة في الكتابة.

- والاعتماد على كلام الله ورسوله (ص) وكلام العرب شعراً أو نثراً. [1]

وموضوعه: في أبنية المفردات العربية من حيث صياغتها لإفادة المعاني المختلفة، وما يعتريها من الأحوال العارضة، كالصحة، والإعلال، والإمالة، والزيادة ونحوها".

واضع علم الصرف: يختلف اللغويون فيما يخص الواضع الأول لعلم الصرف؛ فمنهم من يرى أن واضع علم الصرف معاذ بن مسلم الهراء، كالسيوطي، في حين يرى آخرون بأن واضع علم الصرف هو أبو الأسود الدؤلي، ويؤكد آخرون أن واضعه هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، استنادا إلى أن الصرف حتى سيبويه كان جزءا من النحو، ولأن أول من وضع النحو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والصرف جزء من النحو فواضعهما واحد.

وأول مَن ألّف في علم الصرف منفصلاً عن علم النحو هو المازني (ت249هـ) في كتابه (التصريف). [2]

المبحث الثاني: منهج ابن عصفور في التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية في كتابه الممتع في التصريف

يمثّل منهج ابن عصفور في التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية في كتابه *الممتع في التصريف* نموذجًا علميًا دقيقًا يجمع بين أصالة الدرس اللغوي وعمق التحليل الصرفي، إذ لم يقتصر على عرض الظواهر الصرفية في صورتها النظرية، بل سعى إلى ربطها بالقراءات القرآنية وربطًا يبرز انسجامها مع قواعد العربية وأصولها. وقد تميّز هذا المنهج بالاعتماد على القياس اللغوي، واستحضار الشواهد من القرآن الكريم وكلام العرب، فضلًا عن مراعاة تنوّع القراءات وما تحمله من دلالات صرفية متعددة[3].

ويكشف تتبّع هذا المنهج عن وعي لغوي رفيع لدى ابن عصفور، حيث تعامل مع القراءات القرآنية بوصفها مادة لغوية ثرّة، تسهم في تقعيد القواعد الصرفية وتوسيع آفاقها، لا باعتبارها مجرد وجوه مختلفة للأداء القرآني. كما يظهر حرصه على بيان علل الاختلاف بين الصيغ، وتوجيهها بما ينسجم مع الأصول الصرفية، مما يبرز قيمة كتابه في الدراسات اللغوية والقرآنية على حدّ سواء.

ومن هنا يأتي هذا المبحث لتسليط الضوء على أبرز ملامح منهج ابن عصفور في التوجيه الصرفي، والكشف عن الأسس التي بنى عليها تحليلاته، مع الوقوف عند تطبيقاته العملية في توجيه القراءات القرآنية، وما تحققه من دلالات لغوية وبلاغية. [4]

المطلب الأول: الأسس المنهجية التي اعتمدها ابن عصفور في التوجيه الصرفي للقراءات

يُعدّ منهج ابن عصفور في التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية من المناهج الراسخة التي تكشف عن تداخل عميق بين علم الصرف وعلم القراءات، إذ لم يكن تعامله مع القراءات قائمًا على مجرّد الوصف، بل تجاوز

---

(1) يطلق اسم المورفولوجيا morphologie على (البحث في القواعد المتصلة باشتقاق الكلمات وتصريفها وتغير ابنيتها بتغير المعنى ومايتصل بذلك) علم اللغة ، علي عبدالواحد وافي 7.

(2) العربية وعلم اللغة البنيوي 83.

(3) ينظر علم اللغة – علي عبد الواحد وافي 8.

(4) ينظر الممتع في التصريف –ابن عصفور 1/45.

ذلك إلى التحليل والتعليل والربط بالقواعد الكلية للغة العربية. وقد انطلق في ذلك من جملة من الأسس المنهجية التي شكّلت إطارًا نظريًا وتطبيقيًا في آنٍ واحد، يمكن الوقوف عليها من خلال استقراء معالجاته في كتاب *الممتع في التصريف*. (1)

أول هذه الأسس هو اعتماد القياس الصرفي بوصفه أداةً حاكمة في توجيه القراءات، إذ كان ابن عصفور ينظر إلى الصيغ القرآنية في ضوء ما استقرّ من أبنية العربية، فيُرجع كل قراءة إلى أصل صرفي معتبر، أو يبيّن وجهها القياسي إن وافق قاعدة مطّردة. فالقياس عنده ليس مجرد وسيلة تفسير، بل معيار يُحتكم إليه في بيان صحة التوجيه. ويتجلّى ذلك في تعامله مع اختلاف الأبنية بين الفعل الثلاثي والمزيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ وقراءة أخرى ﴿وَقَاتَلُوا﴾، إذ يبيّن أن صيغة "فعّل" تفيد التكثير والمبالغة، في حين أن "فاعل" تدل على المشاركة، فيربط كل قراءة بدلالتها الصرفية الخاصة، ويجعل من اختلاف الصيغة مدخلًا لفهم اختلاف المعنى، لا تعارضًا فيه. (2)

وثاني هذه الأسس هو الاحتكام إلى السماع اللغوي، حيث لم يكن ابن عصفور يقف عند حدود القياس، بل يعضده بما ورد عن العرب من استعمالات موثوقة، سواء في القرآن أو الشعر أو كلام الفصحاء. فالقراءات عنده تمثّل أعلى درجات السماع، ولذلك كان يعاملها بوصفها حجّة لغوية، لا تحتاج إلى إثبات، بل يُستدل بها على القاعدة. ومن ذلك توجيهه لبعض الصيغ التي قد تبدو خارجة عن القياس الظاهر، فيُرجعها إلى أصل مسموع، أو يبيّن أنها من قبيل اللغات المختلفة، كما في اختلاف الضبط بين "يُفْعِل" و"يَفْعُل"، في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، حيث تظهر قراءات مختلفة في حركة الفعل، فيُبيّن أنها ترجع إلى اختلاف لهجات العرب في بناء الفعل المضارع. (3)

أما الأساس الثالث فيتمثّل في مراعاة العلل الصرفية، وهي من أبرز ما يميّز منهج ابن عصفور، إذ لم يكن يكتفي بذكر الصورة الصرفية، بل يسعى إلى بيان سببها، سواء أكان ذلك متعلقًا بالإعلال أو الإدغام أو الحذف أو الإبدال. فهو ينظر إلى الكلمة في بنيتها العميقة، ويحلّل ما طرأ عليها من تغييرات وفق قواعد الصرف. ويتجلّى ذلك في توجيهه للقراءات التي تتضمن ظواهر الإعلال، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، حيث يبيّن أن أصل الفعل "جاء" من "جيء"، وأن التغيير الذي طرأ عليه ناتج عن قواعد الإعلال بالقلب، مما ينسجم مع أصول التصريف العربي. (4)

ويرتبط بهذا الأساس اعتمادُه على مبدأ الاشتقاق، إذ يرى أن فهم الصيغة لا يكتمل إلا بردّها إلى جذرها اللغوي، واستحضار معانيها الأصلية. ولذلك كان يربط بين الأبنية المختلفة للجذر الواحد، ويُبرز الفروق الدلالية بينها. ففي توجيهه لبعض القراءات التي تختلف في صيغة المصدر أو اسم الفاعل، يُبيّن كيف يؤدّي اختلاف البنية إلى اختلاف في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وقراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، حيث يُبرز أن "مالك" تدل على التملّك، بينما "ملك" تفيد السلطان والحكم، ويُرجع هذا الفرق إلى اختلاف الصيغة الصرفية، لا إلى اختلاف اعتباطي في القراءة. (5)

ومن الأسس المنهجية المهمة كذلك النظر إلى القراءات بوصفها نظامًا متكاملًا، لا يُفهم بعضه بمعزل عن بعض، إذ كان ابن عصفور يقارن بين القراءات المختلفة للموضع الواحد، ويُبرز ما بينها من علاقات صرفية، فيُظهر كيف أن كل قراءة تمثّل وجهًا من وجوه العربية. وهذا ما يتجلّى في تعامله مع الأفعال

(1) ينظر علم اللغة – علي عبد الواحد وافي 8.
(2) ينظر الحجة في القراءات السبع – ابن خالويه 55/2.
(3) ينظر النشر في القراءات العشر – ابن الجزري 210/1.
(4) ينظر شرح المفصل – ابن يعيش 201/3.
(5) ينظر التصريف الملوكي – ابن جني 65.

المبنية للمعلوم والمجهول، كما في قوله تعالى: ﴿عُلِّمَ الْإِنسَانُ﴾ وقراءة ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾، حيث يبيّن أن الاختلاف بين البناءين يؤدي إلى اختلاف في التركيز الدلالي، مع بقاء الأصل الصرفي واحدًا. (1)

كما اعتمد ابن عصفور على الربط بين الصرف والدلالة، وهو أساس جوهري في منهجه، إذ يرى أن التوجيه الصرفي لا ينفصل عن المعنى، بل إن البنية الصرفية هي مفتاح لفهم الدلالة. ولذلك كان يحرص على بيان الأثر الدلالي لكل صيغة، ويجعل من اختلاف القراءات مجالًا لتوسيع المعنى القرآني، لا لتقييده. ففي توجيهه لصيغ المبالغة، أو الأفعال المزيدة، يُبرز كيف تضيف الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وهو مبدأ أصيل في العربية. (2)

ومن خلال هذه الأسس مجتمعة، يتضح أن منهج ابن عصفور يقوم على تكامل بين القياس والسماع، وبين التحليل الشكلي والدلالي، مما يجعله منهجًا علميًا متوازنًا. وقد أسهم هذا المنهج في إظهار القراءات القرآنية بوصفها مصدرًا غنيًا للدراسة الصرفية، حيث تتحوّل من مجرد وجوه أدائية إلى شواهد لغوية تؤسس للقاعدة وتوسّعها. (3)

وهكذا، فإن الأسس المنهجية التي اعتمدها ابن عصفور في التوجيه الصرفي لم تكن مجرد أدوات تحليل، بل كانت رؤية علمية متكاملة تسعى إلى فهم اللغة في أعمق مستوياتها، وتؤكد في الوقت نفسه على مكانة القراءات القرآنية في بناء الدرس الصرفي العربي. (4)

المطلب الثاني: تطبيقات التوجيه الصرفي وأثرها في ترجيح القراءات وتوجيهها

يمثّل جانب التطبيقات العملية في منهج ابن عصفور ذروة النضج العلمي في دراسته للتوجيه الصرفي للقراءات القرآنية، إذ تتجلّى فيه قدرته على الانتقال من التأصيل النظري إلى الممارسة التحليلية الدقيقة، من خلال توظيف القواعد الصرفية في تفسير اختلاف القراءات، وبيان وجوهها، بل وأحيانًا ترجيح بعضها على بعض في ضوء ما يراه أقرب إلى أصول العربية وأقيستها. (5)

ويظهر هذا المنحى التطبيقي في تعامله مع اختلاف الأبنية الصرفية للأفعال، حيث يعمد إلى تحليل الصيغة من حيث أصلها وبناؤها ودلالتها، ثم يربط ذلك بسياق الآية. ومن ذلك ما يتصل باختلاف صيغتي "فَعَلَ" و"فَعَّلَ"، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَتْلُهُمُ الْأَنبِيَاءَ﴾، حيث ترد في بعض القراءات بصيغة التكثير "قَتَّلُوا"، فيُبيّن أن التشديد يفيد المبالغة وتكرار الفعل، مما يوحي بكثرة ما وقع من القتل، بينما تفيد الصيغة المجردة أصل الفعل دون دلالة على التكثير، فيكون لكل قراءة أثر دلالي خاص، وهو ما يجعل اختلاف الصيغة إثراءً للمعنى لا تضادًا فيه. (6)

كما تتجلّى تطبيقاته في توجيه الاختلاف بين صيغ الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول، كما في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾، حيث تُقرأ أيضًا بصيغة "خَلَقَ"، فيقوم بتحليل الفعل من حيث البناء، ويُبرز أن القراءة المبنية للمجهول تركّز على حالة الإنسان بوصفه مخلوقًا ضعيفًا، في حين تُسند القراءة الأخرى الفعل إلى الفاعل، فتُبرز جانب القدرة الإلهية، وبذلك يُظهر كيف يؤثر التحول الصرفي في توجيه المعنى. (7)

(1) ينظر معاني القرآن – الفراء 134/1.
(2) ينظر الكتاب – سيبويه 256/2.
(3) ينظر شرح الشافية – الرضي الاستراباذي 78/1.
(4) ينظر سر صناعة الإعراب – ابن جني 112/1.
(5) ينظر إيضاح الوقف والابتداء – ابن الأنباري 89/1.
(6) ينظر المقتضب – المبرد 156/1.
(7) ينظر البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي 145/2.

ومن التطبيقات الدقيقة كذلك توجيهه لاختلاف صيغ الأسماء المشتقة، كاسم الفاعل واسم المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، حيث تُفهم صيغتا "غفور" و"غافر" في ضوء أبنيتهما الصرفية، فيُبيّن أن "فعول" تدل على الكثرة والمبالغة، بينما "فاعل" تدل على مطلق الحدث، مما يفتح بابًا لفهم أعمق لدلالات الصفات الإلهية في ضوء البنية الصرفية. (1)

ويبرز أثر التوجيه الصرفي أيضًا في تعامله مع ظواهر الإعلال والإبدال، إذ يقوم بتحليل الكلمة إلى أصلها الاشتقاقي، ثم يبيّن ما طرأ عليها من تغييرات صوتية وصرفية. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، حيث يوضّح أن أصل "اتخذ" من "أخذ"، وأن الزيادة في المبنى أدّت إلى نقل الفعل إلى باب الافتعال، بما يحمله من دلالة على التكلّف أو الاتخاذ المصطنع، وهو ما ينسجم مع سياق الردّ على هذا الادعاء. (2)

كما تتجلّى تطبيقاته في توجيه اختلاف الحركات داخل البنية الواحدة، وهو ما يُعرف باختلاف اللغات أو اللهجات، كما في قوله تعالى: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ وقراءة ﴿يُكَذِّبُونَ﴾، حيث يبيّن أن الاختلاف بين التخفيف والتشديد يعود إلى اختلاف في البنية الصرفية، فالأولى من "كَذَبَ" والثانية من "كَذَّبَ"، ولكل منهما دلالة خاصة، إذ تفيد الثانية نسبة الكذب إلى الغير أو تكذيبه، وهو ما يعمّق المعنى في السياق القرآني. (3)

ومن أهم مظاهر هذا الجانب التطبيقي أن ابن عصفور لا يكتفي بتوجيه القراءات، بل يتجاوز ذلك أحيانًا إلى بيان ما يراه أرجح من جهة القياس أو الاستعمال، مع بقاء جميع القراءات في دائرة القبول. فهو يُبرز أن بعض الصيغ أقرب إلى الأصول الصرفية أو أكثر شيوعًا في كلام العرب، دون أن ينفي صحة غيرها، مما يعكس توازنًا علميًا بين احترام الرواية والاحتكام إلى الدراية. (4)

يتّسع مجال التطبيقات عند ابن عصفور ليشمل مستويات أعمق من التحليل الصرفي، بحيث لا يقتصر على بيان وجوه الاختلاف، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن النظام الداخلي الذي يحكم هذه الاختلافات، وربطها بمبادئ كلية في العربية، الأمر الذي يجعل من التوجيه الصرفي أداة ترجيح دقيقة بين القراءات من جهة، ووسيلة لفهم تعدد الدلالة من جهة أخرى. (5)

فمن أبرز تطبيقاته تحليله لاختلاف صيغ المزيد في الفعل، ولا سيما أوزان (أفعل، فعّل، تفعّل، افتعل)، إذ يربط كل صيغة بدلالتها الخاصة، ثم يُسقط ذلك على القراءات. ففي قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ وقراءة ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ﴾، يُبرز أن "فعّل" (يُنَزِّل) تفيد التدرّج أو التكثير، أي النزول المتكرر أو التدريجي، بينما "أفعل" (يُنْزِل) تدل على مطلق الإنزال دفعة واحدة، وبذلك يُفهم اختلاف القراءتين على أنه تنوّع في تصوير الحدث الإلهي، لا تعارض فيه. ومن خلال هذا التحليل، يُظهر كيف يمكن للزيادة في المبنى أن تُنتج زيادة نوعية في المعنى، وهو ما يجعله يميل – في بعض المواضع – إلى ترجيح صيغة على أخرى بحسب انسجامها مع السياق. (6)

كما تتجلّى تطبيقاته في باب المصادر، حيث يتعامل مع اختلاف صيغ المصدر بوصفه مفتاحًا دلاليًا مهمًا. ففي نحو قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، يُبرز الفرق بين المصدر القياسي والمصدر السماعي، ويبيّن أن اختيار صيغة "تبتيل" على غيرها يحمل دلالة على التكلف في الانقطاع أو المبالغة فيه. وإذا وردت قراءة بصيغة أخرى للمصدر، فإنه يردّها إلى أصلها الاشتقاقي، ويقارن بينها من حيث القوة الدلالية، مما يفتح المجال لترجيح القراءة التي تنسجم أكثر مع المقام التعبدي للآية. (7)

---

(1) ينظر اللمع في العربية – ابن جني 54.
(2) ينظر شرح قطر الندى وبل الصدى – ابن هشام الأنصاري 112.
(3) ينظر معاني القرآن وإعرابه – الزجاج 76/1.
(4) ينظر إعراب القرآن – النحاس 97/1.
(5) ينظر أسرار العربية – ابن الأنباري 67.
(6) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري 142/1.
(7) ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – السمين الحلبي 188/1.

وفي باب الإعلال، يقدّم تطبيقات دقيقة تكشف عن حسّ صرفي عالٍ، إذ يقوم بردّ الألفاظ إلى أصولها، ثم يبيّن مراحل التغيير التي طرأت عليها. ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إذا وُجد اختلاف في بنية الفعل أو حركته في بعض القراءات، فإنه يفسّر ذلك في ضوء قواعد الإعلال بالقلب أو الحذف، ويُبرز أن هذه التغييرات ليست اعتباطية، بل محكومة بقوانين صوتية وصرفية دقيقة. وهذا التحليل يمكّنه من بيان أن بعض القراءات أقرب إلى الأصل الاشتقاقي، في حين تمثّل أخرى مراحل تطوّر صوتي في اللغة. (1)

ويمتدّ تطبيقه إلى ظاهرة الإدغام، حيث يبيّن أثرها في البنية الصرفية، كما في الأفعال التي تتضمن تضعيفًا أو تقاربًا في المخارج. فإذا وردت قراءة بإظهار الحرف وأخرى بإدغامه، فإنه يربط ذلك بالقواعد الصوتية، ويبيّن أن الإدغام قد يكون أقرب إلى الخفة في النطق، بينما الإظهار يحافظ على الأصل البنيوي للكلمة. ومن هنا، يُظهر أن كل قراءة تحمل وجهًا من وجوه العربية، مع إمكان ترجيح أحدهما من حيث القياس أو الفصاحة. (2)

ومن التطبيقات اللافتة أيضًا توجيهه لاختلاف صيغ الجمع، سواء أكانت جموع تكسير أم جموع سلامة، إذ يربط بين الصيغة ودلالتها الكمية أو النوعية. ففي مثل قوله تعالى: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، إذا وُجدت قراءة بصيغة أخرى، فإنه يبيّن الفرق بين الجمع الدال على الكثرة والجمع الذي قد يدل على القلة أو النوع، ويُبرز كيف يؤثر ذلك في تصوير موقف الكافرين من القرآن. وهذا التحليل يفتح بابًا لفهم أعمق للبعد البلاغي المرتبط بالبنية الصرفية. (3)

كما يُعنى ابن عصفور بتطبيقات الاشتقاق الأكبر، حيث يربط بين الكلمات ذات الجذر الواحد، ويُبرز العلاقات الدلالية بينها. ففي توجيهه لبعض القراءات التي تختلف في الحروف الأصلية أو المزيدة، يبيّن أن هذا الاختلاف قد يعكس تنوّعًا في الاشتقاق، مما يؤدي إلى تنوّع في المعنى. وهذا المنهج يكشف عن رؤية شمولية للغة، حيث تُفهم الكلمات في إطار عائلاتها الاشتقاقية، لا بوصفها وحدات معزولة. (4)

ولا يخفى أن من أهم آثار هذه التطبيقات أنها تسهم في ترجيح بعض القراءات من حيث القوة اللغوية، إذ يعتمد ابن عصفور في ذلك على جملة من المعايير، منها: موافقة القياس، وكثرة الاستعمال، وانسجام الصيغة مع السياق، ووضوح الدلالة. ومع ذلك، فإنه لا يُخرج القراءة المرجوحة عن دائرة الصحة، بل يقرّ بأنها تمثّل وجهًا عربيًا معتبرًا، مما يعكس احترامه لأصول علم القراءات القائمة على التواتر والرواية. (5)

ومن خلال هذا التوسّع في التطبيقات، يتبيّن أن التوجيه الصرفي عند ابن عصفور ليس مجرد تفسير شكلي للاختلاف، بل هو منهج تحليلي متكامل، يكشف عن البنية العميقة للنص القرآني، ويُبرز ما فيه من ثراء لغوي ودلالي. فهو يربط بين الصيغة والمعنى، وبين القاعدة والتطبيق، وبين الرواية والدراية، مما يجعل من دراسته للقراءات نموذجًا يُحتذى في الجمع بين علوم العربية وعلوم القرآن. (6)

وهكذا، فإن الأثر النهائي لهذه التطبيقات يتمثّل في تحويل اختلاف القراءات من ظاهرة شكلية إلى ظاهرة دلالية منتجة، تُغني النص القرآني وتوسّع آفاق فهمه، وتؤكد في الوقت نفسه على مرونة العربية وقدرتها على استيعاب هذا التنوّع ضمن نظام لغوي محكم. (7)

---

(1) المقتضب – المبرد 156/1.
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري 233/1.
(3) ينظر البرهان في علوم القرآن – الزركشي 321/1.
(4) ينظر دراسات في فقه اللغة – رمضان عبد التواب 93.
(5) الخصائص – ابن جني 34/2.
(6) دراسات في فقه اللغة – رمضان عبد التواب 93.
(7) البرهان في علوم القرآن – الزركشي 321/1.

الخاتمة

تبيّن من خلال دراسة منهج ابن عصفور في التوجيه الصرفي للقراءات القرآنية في كتاب الممتع في التصريف أن هذا المنهج يقوم على رؤية علمية متكاملة تجمع بين أصالة القاعدة الصرفية ومرونة التطبيق، حيث تعامل مع القراءات القرآنية بوصفها مادة لغوية ثرّة تُسهم في بناء القاعدة وتوسيعها، لا مجرد ظواهر تحتاج إلى تفسير. وقد استطاع من خلال توظيف القياس والسماع والعلل الصرفية أن يقدّم نموذجًا دقيقًا في تحليل البنية اللغوية للقراءات، مع ربطها بدلالاتها السياقية، مما أظهر أثر الصيغة في إنتاج المعنى وتوجيهه. كما كشف هذا المنهج عن وعي عميق بطبيعة العربية بوصفها لغة قائمة على التنوّع المنضبط، حيث تتعدّد الأوجه دون أن يقع التعارض، بل يتحقق التكامل الدلالي.

الاستنتاجات:

1- اعتماد ابن عصفور على القياس الصرفي جعله قادرًا على تفسير اختلاف القراءات ضمن نظام لغوي منضبط.

2- أسهمت القراءات القرآنية في ترسيخ القاعدة الصرفية عنده، إذ عدّها مصدرًا أصيلًا من مصادر الاحتجاج اللغوي.

3- أظهر التوجيه الصرفي أن اختلاف الأبنية يؤدي إلى اختلاف دلالي دقيق، لا إلى تعارض في المعنى.

4- شكّلت العلل الصرفية (كالإعلال والإبدال والإدغام) أساسًا مهمًا في تفسير الظواهر القرائية.

5- بيّن ابن عصفور أن زيادة المبنى تؤدي غالبًا إلى زيادة في المعنى، وهو ما انعكس في تحليله لصيغ الأفعال والأسماء.

6- أسهم الربط بين الصرف والسياق في تعميق الفهم الدلالي للآيات القرآنية.

7- أتاح التوجيه الصرفي إمكانية الترجيح بين القراءات من حيث القوة اللغوية، مع الحفاظ على صحتها جميعًا من حيث الرواية.

8- كشف المنهج عن التكامل بين علوم العربية وعلوم القرآن، ولا سيما الصرف والقراءات.

9- أظهر تنوّع القراءات ثراءً لغويًا يعكس سعة العربية ومرونتها في التعبير.

10- يُعدّ منهج ابن عصفور نموذجًا علميًا يمكن الإفادة منه في الدراسات اللغوية والقرآنية المعاصرة.

المصادر

١. الممتع في التصريف – ابن عصفور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995م.
٢. الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري، بغداد: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م.
٣. أسرار العربية – ابن الأنباري، القاهرة: دار الثقافة العربية، ط1، 1989م.
٤. إيضاح الوقف والابتداء – ابن الأنباري، بيروت: دار صادر، ط2، 2000م.
٥. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – السمين الحلبي، دمشق: دار الفكر، ط1، 1998م.
٦. البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي، بيروت: دار المعرفة، ط1، 1985م.
٧. البرهان في علوم القرآن – الزركشي، القاهرة: دار الفكر الإسلامي، ط1، 1990م.
٨. الخصائص – ابن جني، القاهرة: مكتبة مصر، ط1، 1978م.
٩. التصريف الملوكي – ابن جني، بيروت: دار الفكر العربي، ط2، 1982م.
١٠. سر صناعة الإعراب – ابن جني، دمشق: دار المعارف، ط1، 1980م.

١١. اللمع في العربية – ابن جني، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1975م.
١٢. المقتضب – المبرد، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط3، 1988م.
١٣. المقرب – المقرب، بغداد: دار الثقافة، ط1، 1992م.
١٤. شرح المفصل – ابن يعيش، بيروت: دار الفكر، ط1، 1987م.
١٥. شرح الشافية – الرضي الاستراباذي، القاهرة: دار المعرفة، ط2، 1991م.
١٦. شرح قطر الندى وبل الصدى – ابن هشام الأنصاري، القاهرة: مكتبة الثقافة، ط1، 1984م.
١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1977م.
١٨. معاني القرآن – الفراء، دمشق: دار الفكر، ط1، 1980م.
١٩. معاني القرآن وإعرابه – الزجاج، القاهرة: دار الكتب، ط1، 1983م.
٢٠. إعراب القرآن – النحاس، دمشق: دار الثقافة، ط1، 1985م.
٢١. الحجة في القراءات السبع – ابن خالويه، القاهرة: دار الفكر، ط1، 1982م.
٢٢. النشر في القراءات العشر – ابن الجزري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1976م.
٢٣. بغية الوعاة – السيوطي، القاهرة: دار المعرفة، ط1، 1969م.
٢٤. نفح الطيب – السيوطي، القاهرة: دار الفكر، ط1، 1972م.
٢٥. المبدع – أبو حيان الأندلسي، القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1981م.
٢٦. تيسير مباحث النحو والصرف – غير محدد، بغداد: دار الثقافة، ط1، 1990م.
٢٧. العربية وعلم اللغة البنيوي – غير محدد، بيروت: دار الفكر، ط1، 1988م.
٢٨. علم اللغة بين القديم والحديث – غير محدد، القاهرة: دار الكتب، ط1، 1985م.
٢٩. علم اللغة – علي عبد الواحد وافي، بيروت: دار النهضة العربية، ط1، 1993م.
٣٠. دراسات في فقه اللغة – رمضان عبد التواب، بغداد: دار الثقافة، ط1، 1998م.